إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

موقع الإسلام سؤال وجواب
المشرف العام للموقع الشيخ محمد بن صالح المنجد

الفتوى رقم 184737

الفتوى رقم 10903

إعداد وتصميم
ابتهاج حجازي بدوي سالم غبور

بِسْـــــمِ اللهِ الرَّحْمـــــنِ الرَّحِيـــمِ
السَّـــــلَامُ عَلَيْكُـــمْ وَرَحْمَـــــةُ اللهِ وَبَرَكَاتُـــهُ

أولاً : حسن الخاتمة.

حسن الخاتمة هو : أن يُوفق العبد قبل موته للابتعاد عما يغضب الرب سبحانه ، والتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة ، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيراً اسْتَعْمَلَهُ " قَالُوا : كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ ؟ قَالَ : " يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ" رواه الإمام أحمد في مسنده (الحديث رقم11625) والترمذي في سننه (الحديث رقم 2142) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (الحديث رقم 1334).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ، قِيلَ "وَمَا عَسَلُهُ" قَالَ : " يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " رواه أحمد في مسنده(الحديث رقم 17330) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(الحديث رقم 1114).

ولحسن الخاتمة علامات ، منها ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره ، ومنها ما يظهر للناس.

ثانياً :

أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى ، كما قال جل وعلا
[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30)] سورة فصلت.
وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم . انظر تفسير ابن سعدي (الصفحة رقم1256).

ومما يدل على هذا أيضا ما رواه البخاري في صحيحه (الحديث رقم6507) ومسلم في صحيحه (الحديث رقم 2683) عَنْ أُمِّ المؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ " فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! أَكَرَاهِيَةَ المَوْتِ ، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوْتَ ؟ فَقَالَ : " لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّ المؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ ".

وقال النووي رحمه الله :"معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعا هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه".

أما عن علامات حسن الخاتمة فهي كثيرة ، وقد تتبعها العلماء رحمهم الله باستقراء النصوص الواردة في ذلك فمن هذه العلامات:

1-النطق بالشهادة عند الموت ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ " رواه أبو داوود في سننه(الحديث رقم 3116) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود(الحديث رقم 2673).

2- الموت برشح الجبين ، أي : أن يكون على جبينه عرق عند الموت ، لما رواه بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مَوْتُ المؤْمِنِ بِعَرَقِ الجَبِينِ " رواه أحمد في مسنده (الحديث رقم 22513) والترمذي في سننه (الحديث رقم 980) والنساني في سننه (الحديث رقم 1828) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

3- الموت ليلة الجمعة أو نهارها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ" رواه أحمد في مسنده (الحديث رقم 6546) والترمذي في سننه (الحديث رقم 1074) قال الألباني : الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

4- الموت غازياً في سبيل الله ؛ لقول الله تعالى :

[وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(171)] سورة آل عمران

5- الموت بالطاعون لقوله صلى الله عليه وسلم : " الطَّاعُون شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " رواه البخاري في صحيحه (الحديث رقم 2830) ومسلم في صحيحه (الحديث رقم 1916)

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ "

رواه البخاري في صحيحه (الحديث رقم 3474).

6-الموت بداء البطن ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ... وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ في صحيحه (الحديث رقم 1915) .

7- الموت بسبب الهدم والغرق ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ : المَطْعُون ، والمبْطُون ، وَالغَرَق ، وَصَاحِب الهَدْم ، والشَّهِيد فِي سَبِيل اللهِ" أخرجه البخاري في صحيحه (الحديث رقم 2829) ومسلم في صحيحه(الحديث رقم 1915).

8- موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو وهي حامل به ، ومن أدلة ذلك ما رواه أبو داود في سننه(الحديث رقم 3111) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والمرْأَةُ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيد". قال الخطابي " معناه أن تموت وفي بطنها ولد "

(عون المعبود شرح سنن أبي داود).

وروى الإمام أحمد في مسنده (الحديث رقم

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ " بْنَ رَوَاحَةَ فَمَا تَحَوَّزَ لَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ، فَقَالَ : " مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي ؟ " ، قَالُوا : قَتْلُ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ ، قَالَ : " إِنَّ شَهَادَةَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ ، قَتْلُ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ ، وَالْبَطْنُ

، وَالْغَرَقُ ، وَالْمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعَاءُ. (يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ) .
صححه الألباني في كتاب الجنائز ص 39.

السرة : ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة ، والسرر ما تقطعه.

9- الموت بالحرق وذات الجنب والسل ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم :
" الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ (قال وزاد أبو العوام سَادِنُ بيت المقدس والحرق والسل)
قال الألباني : حسن صحيح ، صحيح الترغيب والترهيب (الحديث رقم 1396).
10 - الموت دفاعاً عن الدين أو المال أو النفس لقول النبي صلى الله عليه وسلم
" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ". رواه الترمذي في سننه (الحديث رقم 1421) .

وروى البخاري في صحيحه (الحديث رقم 2480) ومسلم في صحيحه (الحديث رقم 141) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ".

11- الموت رباطا في سبيل الله ، لما رواه مسلم في صحيحه (الحديث رقم 1913)
عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ".

12- ومن علامات حسن الخاتمة الموت على عمل صالح ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" رواه الإمام أحمد في مسنده (الحديث رقم 22813) وصححه الألباني في كتاب الجنائز -الصفحة رقم43. انظر كتاب الجنائز الصفحة رقم 34) للألباني رحمه الله.

وهذه العلامات هي من البشائر الحسنة التي تدل على حسن الخاتمة ، ولكننا مع ذلك لا نجزم لشخص ما بعينه أنه من أهل الجنة إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة كالخلفاء الأربعة ...

تقدم في إجابة السؤال رقم (10903) بيان علامات حسن الخاتمة ، وهي التي تدل على صلاح العبد وإقباله على الله .

أما بعد الموت : فليس هناك من العلامات ما يمكن الاستدلال به على صلاح العبد وتقواه ، وقد يستأنس بما قد يظهر أحيانا على الميت من ابيضاض وجهه ، أو إشراقه بابتسامة رقيقة ، ونحو ذلك إذا كان معروفا في حياته بالصلاح ، إلا أن مثل ذلك لا يكون على سبيل القطع والجزم.

فإذا كان العبد معروفا بالصلاح والتقوى في حياته ، ثم أشرق وجهه وابيض بعد موته كان ذلك مما يستبشر به ويستأنس .

كما أن حسن ثناء الناس عليه بعد موته ودعائهم له من علامات صلاحه ، وكذا حسن الصحبة التي كان عليها في حياته هي من علامات صلاحه.

وأسباب حسن الخاتمة كثيرة متعددة ، منها : الاستقامة على طاعة الله ، وحسن الظن بالله ، والصدق ، والتقوى ، والتوبة ، وذكر الموت وقصر الأمل ، والإقبال على الآخرة ، ومصاحبة أهل الخير والصلاح.

أما العلامات التي تدل على سوء حاله وسوء خاتمته ، فمنها :-

1- أن يموت العبد وهو سيء الظن بالله تعالى ، وقد روى مسلم في صحيحه - (الحديث رقم 2877) عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ : "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ" .

2- أن يختم له بعمل غير صالح فيموت على معصية الله ، كترك الصلاة أو شرب الخمر أو الزنا ؛ وقد روى البخاري في صحيحه (الحديث رقم 6607) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ".

3- أن يُصرف عن التوبة ولا يوفق لها ، فيتمادى في غيه وضلاله ولا يرعوي عن فعل المنكر حتى يموت عليه.

4- أن يُجمع له بين العمل السيئ في الدنيا وبين ما يظهر على وجهه من أمارات سوء الخاتمة من اسوداد وجهه وعبوسه وظلمته ، أو رفضه النطق بالشهادتين وانصرافه إلى التكلم بما كان عليه حاله في الدنيا من السوء والفساد ، ونحو هذه الأمور .

5- أن يتهاون آخر عمره بالفروض والواجبات بدعوى المرض وعدم الاستطاعة فيضيع فرائض الله بتهاونه وسوء عمله.

6- أن يكره الموت عند احتضاره مع زيادة خوفه وقلقه واضطرابه وعدم ثبوته ، مع ما كان عليه من العمل السيئ.

وقد روى البخاري في صحيحه (الحديث رقم 6507) ومسلم في صحيحه (الحديث رقم 2683) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟ قَالَ (لَيْسَ ذَاكِ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ".

7- أن يكثر الناس من الثناء السيئ عليه بعد موته ، فروى البخاري في صحيحه - (الحديث رقم 1367) ومسلم في صحيحه (الحديث رقم 949) عن أنس بن مَالِكٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : " مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَجَبَتْ) ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ : (وَجَبَتْ) ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا وَجَبَتْ ؟ قَالَ (هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ" .

ومن أسباب سوء الخاتمة :-

فساد الاعتقاد ، والإصرار على المعاصي ، والوقوع في الكبائر ، والإقبال على الدنيا والتعلق بها مع ضعف الرغبة في الآخرة وأعمالها ، والعدول عن الاستقامة والإعراض عنها وعن أصحابها ، وملازمة أصحاب السوء ومخاللتهم.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي رحمه الله:

" وَاعلم رَحِمك الله أَن لسوء الخاتمة أعاذنا الله مِنْهَا أسبابا وَلها طرق وأبواب أعظمها الإكباب على الدُّنْيَا والإعراض عَن الْأُخْرَى ، والإقدام بالمعصية على الله تَعَالَى. وَرُبمَا غلب على الْإِنْسَان ضرب من الْخَطِيئَة وَنَوع من الْمعْصِيَة وجانب من الْإِعْرَاض وَنصِيب من الافتراء فَملك قلبه وسبى عقله وأطفأ نوره وَأرْسل عَلَيْهِ حجبه ، فَلم تَنْفَع فِيهِ تذكرة وَلَا نجعت فِيهِ موعظة ، فَرُبمَا جَاءَهُ الْمَوْت على ذَلِك... وَاعْلَم أَن سوء الخاتمة أعاذنا الله مِنْهَا لَا يكون لمن استقام ظَاهره وَصلح بَاطِنه ، وَإِنَّمَا يكون ذَلِك لمن كَانَ لَهُ فَسَاد فِي الْعقل وإصرار على الْكَبَائِر وإقدام على العظائم ، فَرُبمَا غلب ذَلِك عَلَيْهِ حَتَّى ينزل بِهِ الْمَوْت قبل التَّوْبَة ويثب عَلَيْهِ قبل الْإِنَابَة وَيَأْخُذهُ قبل إصْلَاح الطوية فيصطلمه الشَّيْطَان عِنْد تِلْكَ الصدمة ويختطفه عِنْد تِلْكَ الدهشة "

من كتاب "العاقبة وذكر الموت" (الصفحة رقم : 178) .